التراث الشعبي بين الطمس والإحياء

الدكتورة نصيرة بكوش الاستاذ حملات بن عتو

جامعة ابي بكر بلقايد – تلمسان–

مقدمة

ليس هناك سجل يكشف عن شخصية شعب من الشعوب وعن رغباته واماله, ومتاعبه ومخاوفه وقيمه الاجتماعية والأخلاقية اكثر من تراثه ,فهو يعبر عن مناسبات حياته العديدة,وفي مواقفه المتعددة من ظروف الحياة. لذلك فهو يعتز به ويعمل على المحافظة عليه.

1) تعريف التراث الشعبي

التراث:هو الإرث أو الميراث , و يستعمل للأمور المعنوية , كما يطلق على النتاج الفكري الموروث الذي خلفه السلف 1. ويؤكد هذا المعنى حسين عبد الحميد رشوان موضحا أكثر فيقول:"ومعنى كلمة ترث في الثقافة العربية ما ورثه الحلف عن السلف من اثار علمية و فنية و أدبية قيمة , وهو بشكل عام عنصر من عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل إلى اخر , واي شيء انتقل من شخص الى اخر , و حفظ اما عن طريق الذاكرة او بالممارسة اكثر مما حفظ عن طريق السجل المدون.و هو قوام الحياة الشعبية و الحصيلة الكاملة لثقافة الشعب , على اختلاف اجياله و بيئاته , و مراحل تعليمه النظامي و غير النظامي "2.

وقد ربط هوسكوفيتز بين التراث و الثقافة و جعلها مرادفا لها في قوله:"انّ التراث مرادف للثقافة، و انه شكل ثقافي يتناقل اجتماعيا ويصمد عبر الزمن " كذلك يذهب جوجن الى انه

أسلوب متميز من أساليب الحياة، كما ينعكس في مختلف جوانب الثقافة ، وربما يمتد خلال فترة زمنية معينة.3

و يؤكد هذا أيضا قراهام والاس اذ يرى ان الثقافة هي تراكم الأفكار و القيم و الأشياء، أي انها هي التراث الذي يكتسبه افراد المجتمع عبر الأجيال المتعاقبة عن طريق التعليم و الاكتساب4. اما كلمة شعبي وهي تعني الناس او الشعب ، و تعني أيضا بما هو شائع، ودارج، وميسر، و محبوب من الأمور سواء أكان مجهول الفاعل او المؤلف او غير مجهول.

و التراث الذي ينتقل من جيل الى جيل يتضمن الأشياء المادية و المعتقدات المتعلقة بكافة الأشياء المعروفة وصور الأشخاص و الأحداث و الممارسات و النظم كما يشتمل على منشآت مبنية و آ ثار و مناظر وتنظيمات طبيعية و تماثيل و أدوات و معدّات انه يضم كل ما يملكه أي مجتمع في فترة معينة و ان كثيرا من المنتجات البارعة التي اثمرتها الثقافة الشعبية أصبحت الآن من التراث الشعبي.5

كما ان التراث الشعبي يدخل في تكوين السلوك الهادف الذي له معنى بين خلاله تعريف و تعيين الأهداف و المعايير بل و الوسائل المختلفة ،كما و ان تعريف التراث يمكن ان يعني أشياء كثيرة ففي ابسط معانيه مجرد النقل، الشيء الذي ينتقل من جيل الى الجيل الذي يليه او من الماضي الى الحاضر و قد يكون الشيء الموروث عنصرا ماديا او تكوينيا ثقافيا.6

و يفضل بعض الباحثين استخدام **اصطلاح فلكلور** بدلا من كلمة التراث الشعبي .و يعرفه وليم جون تومر بانه : العقائد المأثورة و قصص الخوارق و العادات الجارية بين العامة من الناس وكذلك ما انحدر عبر العصور من السلوك و العادات و التقاليد و المعتقدات الخرافية، والأغاني والأمثال الشعبية و غيرها. و يعني ذلك أن تومز قد اعتبر أنّ الفلكلور هو

الجانب من الثقافة الشعبية ، و الذي يطابق المأثورات الشعبية 7و عرّف بوتر الفلكلور بأنه "حفريات حية تأبى أن تموت ".و يشرح وجهة نظره بقوله:" ان الفلكلور هو الرواسب العلمية و الثقافية المتأخرة للتجربة الإنسانية ، و التي تكونت على مر العصور. أما باليس وتايلور فيران أن الفلكلور هو الجانب المأثور من الثقافة الشعبية.8

2) وظائف التراث الشعبي:

يلعب التراث الشعبي دورا هاما في الحياة الشعبية و يمكن ان نحدد هذه الوظائف في ضوء الدراسة التي قام بها علماء الأنثربولوجيا و التراث الشعبي أمثال وليام بياسكوم و مالينوفسكي و روث بندكت و يمكن أن نحدد هذه الوظائف الأربعة الأساسية التالية للتراث الشعبي و هي:

الوظيفة الأولى : و ترتكز هذه الوظيفة على المحتوى الاجتماعي للتراث الشعبي و موقعه في الحياة اليومية للناس و نجد ذلك واضحا عندما نحدد العلاقة بين الفلكلور و الثقافة أو الدور الحيّ الذّي يقوم به الراوي في الحكايات الشعبية و هذا ما أكّده مالنوفسكي في دراسته للحكاية الشعبية والأسطورة.9

الوظيفة الثانية:الدّور الذي يقوم به التراث الشعبي في تثبيت الثقافة، و في الحفاظ على الشعائر والنّظم و هي تقول لنا:" ابق على تقاليد آبائك و أجدادك ، وهي تذكرنا بتلك التقاليد، و تحفظ لنا الأساطير، و تدرس لنا مصادر هذه و تلك، و تردّها إلى أصولها، لتقيم حاضرنا على عمد قوية من الذّكرى، وانفعالاتنا على سند من القومية.10

الوظيفة الثالثة: دور التراث الشعبي التعليمي و خصوصا في المجتمعات المحلية غير المتعلمة والتي تنتشر فيها الأمية و قلة عدد المتعلمين و قد أثبتت الدراسات الأنتربولوجية أنّ

المعلومات التي تحويها عناصر التّراث الشّعبي المختلفة ينظر إليها باحترام و تقديس و قد ينظر إليها البعض باعتبارها حقيقة تاريخية.11

الوظيفة الرابعة: هي وظيفة التكامل في المجتمع، و الوصول الى مرحلة التضامن الاجتماعي. و هذه الوظيفة نجدها واضحة في كتابات راد كليف براون عن الاندمان (الاندماس)و في كثير من الكتابات الأنتربولوجية الأخرى.12

فالتراث بشقيه المادّي و اللّا مادي، وبعناصرهما المختلفة ، هو جزء من ذاتنا و شخصيتنا وكياننا و لباسنا و طعامنا و مسكننا، وطريقة عيشنا و به نتميز عن باقي الأمم و نصل إلى الثبات والاستقرار.

و لكن السّؤال المطروح هو كيف نحميه و نحافظ عليه؟ و كيف نعيد إحيائه؟

إنّ دراسة و حفظ التراث ضرورة ملحّة تفرضها علينا الحياة الجديدة التي تهدد موروثنا الشعبي بالاندثار و الزّوال. و لا بدّ أن نعيد الاعتبار له لأنه يعدّ ملكا، و إرثا و ثروة لنا ،و لا بدّ أن ننقده من أيدي الغزاة لأننا في زمن العولمة و الحداثة و الوسائل التكنولوجية.
ولإحيائه و المحافظة عليه لا بدّ أن **نتّبع بعض الخطوات:**

1- الجمع و التدوين و الدراسة و التّحليل: و الحمد لله نحن نملك طلبة و باحثين و هم قائمون على جمع و توثيق و تحليل هذا الإرث العظيم، و نخص بالذكر باحثين جامعة تلمسان بكلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية. إضافة ما تقوم به متاحف مدينة تلمسان و نخصّ بالذّكر "مركز الدراسات الأندلسية" من جمع و دراسة و تدوين.
2- الإعتراف الرسمي بهذا التّراث و الإعلاء من شأنه و جعله كمقياس يدرّس في المدارس والجامعات.

3- إنشاء مراكز متخصصة لأرشفة التّراث في جميع المناطق الجزائرية، تجمع فيه الموارد الشّعبية حسب طرق علمية متعارف عليها عالميا و يكون مقرّها الرّئيسي في إحدى ولايات الوطن يقوم عليه متخصّصون تدرّبوا في جامعات عالمية على أسلوب الجمع و الأرشفة العالمية, إضافة إلى تخصيص أراشيف مستقلّة داخل الجامعات و المعاهد، و تبادل الزيارات و الأبحاث ، و الورشات التّدريبية.13

4- إنشاء مجلات دورية خاصّة بالتّراث الشّعبي، و إعداد برامج و أشرطة ، وأفلام إذاعية وتلفزيونية عن التّراث الجزائري عبر تاريخه.

5- ترميم الأماكن الأثرية و المواقع التّاريخية و صيانتها و إبقائها مفتوحة للزّائرين و السّواح الأجنبيّين.14

وخلاصة القول نقول ان العناية بالثرات الشعبي وجمعه هي مسؤوليّة الجميع، فلنتعاون جميعا لإنقاذ تراثنا من أيدي الغزاة و خاصّة و نحن نعيش في زمن العولمة و التّكنولوجيا فبالجمع و الدّراسة نكشف عن هوّيتنا و أصالتنا و تاريخنا ، ونحافظ على مكانتنا بين الأمم.

قائمة المراجع:

1عبد الرحمان علي الحجي اضواء على الحضارة والثرات شركة الشهابالجزائر ص66

2حسين عبد الحميد احمد رشوان الفلكلور والفنون الشعبية الاسكندرية 1993 ص4

3المرجع نفسه ص4

4احمد ابو زيد البناء الاجتماعي الجزء الاول الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة 1975 ص189

5 فاروق احمد مصطفى مرفت العشماوي دراسات في الثرات الشعبي دار المعرفة الجامعية الاسكندرية مصر 2013 ص19

6 ادوار شيلز الثرات تاصيل وتحليل من منظور علم الاجتماع ترجمة ومراجع محمد الجوهري واخرين مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية القاهرة 2004 ص9

7حسين عبد الحميد المرجع السابق ص20

8 المرجع نفسه ص4

9 فاروق احمد مصطفى المرجع السابق ص21

10 حسين احمد رشوان المرجع السابق ص10

11 فاروق احمد مصطفى المرجع السابق ص21

12 حسين عبد الحميد رشوان ص11